

## إعلامي مصري يحافظ على شعبيته بالسباحة ضد التيار

محمود سعد

يفتش عن المهمشين ويخاضم السياسة



• ذكاء سعد الفطري يرسم اتجاهه في الإعلام، فهو ليس عمرو أديب السائر إلى يمين السلطة، ولا هو أحمد موسى المُبرر لكل سياسة، ولا وائل الإبراشي الباحث عن القضايا المثيرة، ولا إبراهيم عيسى المواجه الشرس للتيار الديني.



• الإعلامي الشعبي يُدرك أن الناس ضجت من السياسة، والرهان عليها له مخاطره، ويعي أن ممارسة النقد البناء أمر قد يُساء تفسيره في ظل تريفص القوى المعادية، والصراعات الدولية، والحرب على التطرف.

الخير" في الصفحة الفنية وعمره 23 عاماً. لم تمض سنوات قليلة حتى ترأس سعد القسم الفني بالمجلة، ونجح خلال سنوات عمله في السبعينات والثمانينات في إقامة علاقات صداقة ومودة مع معظم الفنانين والفنانات النجوم، وشارك الرجل في أنوار ثانوية في بعض الأفلام مثل فيلم "الرجل الثالث" مع أحمد زكي وليلى علوي، وإخراج علي بدرخان، وفي مسلسل "الباطنية" بطولة صلاح السعدني وغادة عبدالرازق، وإخراج محمد النقلي في العام ذاته، كما شارك في فيلم "إسكندرية - نيويورك" للمخرج يوسف شاهين، وفيلم "أمير البحار" بطولة محمد هنيدي، وياسر جلال، وإخراج وائل حسان.



## المتابع لحفلات برامجه عبر

يوتيوب، أو حتى برنامجه

الأسبوعي «باب الخلق» على قناة

«النهار» يلحظ تركيزاً شديداً

على الثقافة والتاريخ وجمال

الأمكنة ونبل الناس، وبعض

مظاهر الأصالة الباقية في

المجتمع

في مجال الصحافة عمل محمود سعد مديراً لمكتب جريدة "الوطن" الكويتية بالقاهرة، كما ترأس مكتب مجلة "لها" بالقاهرة، قبل أن يتفرغ لتحرير مجلة "الكواكب" الفنية. في بداية الألفية، أخذ مشواره الإعلامي كمنع ومحاو حيث التحق بقناة "إم بي سي" ليقيم برنامجاً أسبوعياً فنياً، قبل أن ينتقل إلى التلفزيون المصري في برنامج جديد حقق نجاحاً واسعاً، هو برنامج "البيت بيتك"، كما قدم على مدى عشرين عاماً عدداً من البرامج الشهيرة الأخرى مثل "كلام على ورق"، "حلم وكذاب"، "مباشر على إم بي سي"، "زائر الليل"، "مصر النهاردة"، "في الميدان"، "آخر النهار"، وأخيراً "باب الخلق".

مكنته الخبرات الطويلة من تكوين شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية أسهمت في زيادة وعيه بالناس وطوقسهم، وهو ما جعله يستقر على هذا الجانب في الأونة الأخيرة، والذي أعاد اكتشافه، لأن بساطته بدت شبيهة بمن يتحدث وملتقى بهم ويعرض تجاربهم على الشاشة.

يظل محمود سعد بأبعاده الاجتماعية والفنية والسياسية، حالة تعكس الأجواء العامة في مصر، التي تحتاج إلى ديناميكية كي يحيا فيها الإعلامي بشكل هادئ ويستطيع التكيف مع الأوضاع المتقلبة بدلا من أن يصاب بالإحباط.

قرر أن ينجاز للمجتمعات التحتية، ويساير المهمشين، ويتجنب قضايا الساعة، والشأن العام، وأحوال السياسة، حتى في قناته الخاصة التي وضع لها أطرا تتأى به عن ذلك.

سر نجاح سعد، كما يشير أسامة الشيخ رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري سابقا، في قدرته على اجتذاب الجمهور العام الذي يهتم بلقمة العيش غير مصنعة حياه الله بها، وعليه استخداما في حشد المزيد من المتابعين. كادت تلك الكاريزما تدفعه خلف الشارح الناصر يوما ما، فتفقدته الجمهور العام الذي يهتم بلقمة العيش أولا وأخيرا، ويرى في المظاهرات والاضطرابات وقف حال، ولكنه انتبه عندما كسا الشيب رأسه، واكتشف أن نصف المتابعين يتاجرون بنضالهم، والنصف الآخر يعيون عليهم.

يعتبر خصوم الإعلامي بساطته ورقته قيمة مصنعة يحرص عليها، وتتسق مع بعض موهبته في التمثيل والتي اكتسبها نتيجة احتكاكه ومعايشته لأهل الفن لفترة طويلة. يقولون أيضا إن شخصية الرجل مُزدحمة بالتناقضات، إذ يبدو بسيطا وقريبا من البسطاء والطبقات الدنيا، في الوقت الذي يعيش فيه حياة رغدة ومترفة، كما أنه يتحدث عن الغلابة والمهمشين، بينما هو معروف بالضغط الشديد على إدارات الفضائيات التي يعمل بها لزيادة أجره.

ينتقد هؤلاء في الرجل سرعة تخليه عن أناس ساندوه بعد تغير الأحوال، في إشارة إلى أنس الفقي وزير الإعلام الأسبق، الذي منحه فرصة الظهور مبكرا في برنامج التلفزيون الرسمي، ثم انقلب عليه فور سقوط نظام مبارك.

ويشيرون إلى أن الرجل لم تكن له مواقف شهيرة حاسمة في عالم الصحافة، ولا أحد يتذكر له مقالا أو تحقيقا صحافيا لأفقا خلال مسيرته في مجال الكتابة، وتحلو لبعض خصومه الإشارة المتكررة إلى عمله في الصحافة بالواسطة، وليس سعيا وراء شغف مهنة البحث عن المتابع.

## مشوار مع الفن

ولد سعد في العام 1954، في أسرة ثرية نوعا ما، وذائق مرارة انفصال والديه صغيرا، لتربيته والدته التي كانت تعمل في مجلة روزاليوسف، وفور تخرجه من قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة، الحقته للعمل بمجلة "صباح

الانتخابات الرئاسية لمرشح الإخوان خوفا من فوز الفريق أحمد شفيق، الذي اعتبره تكمرا للنظام السابق. ورغم أن تحقق سعد تم في ظل نظام الرئيس الراحل حسني مبارك وما منحه للإعلام والصحافة من مساحة تعبير جعلته يكتسب شعبية من خلال برنامج أكثر حرية يعرض في التلفزيون الرسمي، إلا أنه تصور أن اكتساب المزيد من الشعبية يتطلب براءة تامة من نظامه، فقدم استقالته تحت ذريعة رفضه استقبال أحمد شفيق في برنامج حواري.

وقتها كشف إعلاميون زملاء أنه استقال بسبب خفض أجره، إذ كان يحصل على تسعة ملايين جنيه وقتها كاجر سنوي، وخفض الأجر إلى مليون جنيه فقط، ما يعادل مئتي ألف دولار وقتها. وقف سعد مع جماعة الإخوان، ثم أدرك بعد فترة أنه خدع، فهاجمها، لكن يبدو أن تبدل المواقف وتغيرها السريع أثر كثيرا على حضوره، وربما تسبب تنقله بين أكثر من فضاخية، بينها فضائية دينية يمتلكها الداعية خالد الجدي في التأثير على شعبيته، فأعاد حساباته وفكر بعمق في صورته وجماهيرته.

أدرك، مثلما قال في ما بعد، أن المتحدثين باسم الدين في الغالب تجار يتكسبون بما يقولون، والبُعد عن تجارتهم مغنم، وهناك جماهير كبيرة حاشدة، بخلاف النخبة المعروفة التي تحدثت في السياسة وتتابع المشاهير، هم الناس البسطاء الذين يمثلون سر نجاح أي موهوب في الإعلام أو الفن. بعد وعكة صحية ألمت به

الأمكنة ونبل الناس، وبعض مظاهر الأصالة الباقية في المجتمع، وحكايات النجاح الحقيقية لمهمشين لا يعرفهم أحد. قاد سعد يوما جمهوره في رحلة غير معتادة إلى متحف أم كلثوم، وشارع المعز، والحديقة الآسيوية، وشريحة كبيرة من الفقراء والبسطاء الطيبين بجنوهم وصرهم، منهم مثلا عجوز في التسعين من عمره لا يزال يسكن السكاكين في حي شعبي، وسيدة تعمل مصنع نسج، وجامع ورق يرتبه ويبيعه بالكيلوغرام.

اعتاد أن يصحب المشاهدين نحو طبيب الغلابة الدكتور محمد عبدالغفار مشالي ليُقدم حكاياته للناس، كعنوان لزم نلى وتجديد لقيم جميلة نادرة، يدرك كثيرون أنها لن تعود.

## تجربة متخبطة

الحكمة الاجتماعية والمهنية التي اكتسبها هي نتاج تجربة قاسية، كادت تودي بجماهيرته عندما انجرف يوما خلف الشوارع بعد تظاهرات الـ25 من يناير 2011، فوقف متخبطا بعض الوقت، ساند الإخوان تارة، وساند جماعة الله من أبريل

تارة أخرى، ووصل به الحال أن منح صوته في

الحكومات للإعلام في التحريض المضاد، لا يزال سعد مقبولا كإعلامي في الشارع المصري، ولا يزال صاحب الـ66 عاماً، والابتسامة العفوية، والبراعة المظلة من وجهه هادئ القسما حائزا لشعبية تُدلل عليها تعليقات تتابع قناته التي أطلقها على يوتيوب تحررا من كل شيء.

## رهان على الجمال

يستلقي سعد، على حشائش الفن والثقافة والإبداع، يتحدث عن المشاهد الحضارية، وعن الناس الطيبة، والفنانين المحبوبين، والزمن المبهج والمنقضي بصخبه وضجيجيه وجرائبه، ويُرَاهن على وعي الناس ونوقهم وإحساسهم بالأصالة والقيم والجمال، مُترنما بنصرة القيم الحضارية والابتعاد عن الإثارة والحرص على صياغة قصص نجاح وعرض نماذج مثالية.

على يوتيوب فضاء أوسع، لا قيود، لا ضفاف، لا إشارات مرور، لا اتصالات مفاجئة، لا ضيوف مرفوضة أو مفروضة، ولا جمهور مستأجرا مهمته التصفيق لكل شيء، وإنما هناك تفاعل حقيقي، وجوي يجعل فتاة في المغرب تُخبره

بأن حديثه عن ذكرياته مع الفنانين الكبار يحفز الناس على استعادة محبة الفن واحترام أهله، ويدفع شبابا عراقيا إلى أن يدعو ويلج عليه لزيارة بلدته بعد أن سمع ما حكاها عن رحلته في التسعينات إلى النجف وكربلاء. ذكاء سعد الفطري جعله يسيطر اتجاه طريقه مبكرا، فهو ليس عمرو أديب السائر إلى يمين السلطة مفسرا ومروجا تصوراتها، ولا هو أحمد موسى المبر لكل سياسة، ولا وائل الإبراشي الباحث عن القضايا المثيرة، ولا إبراهيم عيسى المواجه بشراسة لتيار الانغلاق الديني.

يُدرك الإعلامي الشعبي أن الناس ضجت من السياسة، والرهان عليها له مخاطره، ويعي أن ممارسة النقد البناء أمر قد يُساء تفسيره في ظل تريفص القوى المعادية، والصراعات الدولية، والحرب ضد التطرف

والإرهاب. يعرف أن الزمن تغير، والظروف تبدلت، والجمهور ذاته اختلف، لذا فإن المتابع لحفلاته سواء المبتوثة عبر يوتيوب، أو حتى في برنامجه الأسبوعي

"باب الخلق" على قناة النهار يلحظ تركيزا شديدا على الثقافة والتاريخ وجمال

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

بعد أعوام الغرائب أو ما يُطلق عليه بزمن ثورات الربيع العربي، تغيرت مشاهد، وصعدت جدران كراهية، وتبدلت صور أبطال بخونة، وتحول من كنا نراهم مُخبرين إلى ثوار ومُخلصين. ووسط هذه العواصف، ظل الإعلامي المصري محمود سعد، قابضا على الجمر، لم يضع مساحيق سياسية أو غير جلد، كما فعل البعض، وعندما وجد أن المجال ضاق به انزوى، وعاد ثانية بشكل مختلف.

ما حدث في مصر كان كفيلا قلب كافة التصورات، وتبدد الكثير من الثوابت، والبحث عن خيط رفيع يمكن أن يُفرق لنا بين الحقيقة والوهم. ففي زمن تشابك المصالح، صار من الصعب تصديق إعلامي ما أو تفضيل كاتب معين، أو الثقة بصاحب رأي، فخيوط المصالح تتصل، وتتلاعب السياسة بالاعلام، يتشابكان معا ولا تكاد تجد مرقا يقين، ولا يُغادرك التشكك في كل ما حولك.

شهدت الفضائيات المصرية فاسدين تحولوا إلى ثوار، وموالين حملوا رايات المعارضة، ونجوما اُفتتوا، ووجوها نبتت من الفراغ، وجرقت السياسة كل حامل ميكروفون، وصار الهجر حلا وسطا للمشاهدين اللاستقطين والمتنصرين للعقل، أو الباحثين عن الموضوعية. قليلون من أدركوا المشهد، واستوعبوه مبكرا، وسارعوا للخروج من حلبة الصراع والاعتصام بالناس، وقليلون من فهموا أن السياسة طاجونة تتدور بالمواقف، وتلون الوجوه وتبدل الأحكام، فخاصموها وتجنبوا الكذب لإرضاء السلطة أو خصومها.



سر نجاح سعد، كما يشير أسامة الشيخ رئيس اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري الأسبق، في قدرته على اجتذاب الجمهور، فهو يعلم أن لديه كاريزما غير مصنعة وعليه استخدامها في حشد المزيد من المتابعين

راهن سعد على شعبية سابقة صاغها بسمته الإنساني الجذاب وببساطته البادية التي كاد يخسرهما في هوجة تقلبات متسارعة، لكنه تعافى سريعا وقاطع "ساس" و"يسوس" و"سانس" وكل خيط ممتد إلى السياسة. في ظل تضيق إعلامي لا يُنكر، ربما تحت وطأة سوء استغلال خصوم